دور الجامعات فى تعزيز حوار الحضارات

أ.د. ثروت إسحق(*)

أهمية الدراسة: تعمل الجامعة على الارتقاء بالفكر والتطبيق، وتحتل مكانة كبرى فى دعم الشخصية، وفى تنميتها، والارتقاء بها، كما تعمل على دعم العلاقة بين الشباب والمجتمع الذى يعيشون فيه والعالم الذى يحيط بهم.

وهذه الدراسة تكشف طبيعة الدور الذى تلعبه الجامعة، والأثر الاجتماعى والثقافى الذى تتركه فى الشباب.

وقد أجريت هذه الدراسة على شريحة من الشباب المصرى الذين نوهوا باتجاهاتهم المتعلقة بدور الجامعة المصرية، كما أجريت على شريحة أخرى من الطلاب العرب الذين تحدثوا عن رؤيتهم للدور الذى لعبته الدراسة الجامعية العليا فى حياتهم. وقد شملت العينة الأخيرة الشباب الجامعى من أقطار عربية مختلفة الذين ينتمون إلى مراحل عمرية مختلفة، ويمثلون الذكور والإناث فى الأقطار التى وفدوا منها.

وتتمثل أهداف الدراسة فى الأتى:

١- كشف اتجاهات الشباب الجامعى نحو دور الجامعة وآثارها الثقافية والاجتماعية.

٢- تعرف أثر الدراسة الجامعية فى حياة الشباب العربى الذين ينتمون إلى أقطار مختلفة، ويختلفون فى خصائصهم الاجتماعية؛ كالسن

(*) أستاذ علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس.

والنوع والتخصص الأكاديمى، وغيرها من الخصائص.

المجال البشرى: طلاب الجامعات المصرية الذين أنهوا دراستهم الجامعية أو مازالوا يدرسون بالجامعة، والطلاب العرب الذين يدرسون دراستهم العليا (الدبلوم) بمعهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة.

المجال الجغرافى: إقليم القاهرة الكبرى فى مصر.

المجال الزمنى: يناير - أكتوبر ٢٠٠٨.

أولا- أهمية التعليم الجامعى:

بالرغم من أن منطقتنا العربية قد شهدت منذ مئات السنوات إنشاء جامعة أون فى مصر وغيرها من الجامعات القديمة؛ فإن التأريخ لتأسيس الجامعات الحديثة فى عالم اليوم يفكرنا بإنشاء جامعة لندن سنه ١٨٣٦ (لتخرج عن دوائر الاهتمام فى أكسفورد وكمبردج)، كما أنه فى الولايات المتحدة تأسس فى جامعة شيكاغو قسم للتدريس للكبار سنه ١٨٩٢، كما أنشئت الجامعة الأهلية فى مصر سنه ١٩٠٨، وما لبثت أن تحولت إلى جامعة حكومية سنه ١٩٢٥، وكان هدفها تشجيع البحث العلمى والاهتمام بتدريس العلوم الأساسية.

أما عن رسالة الجامعة والخصومة الجدلية لوجودها بوصفهما من الأساليب الفنية للثقافة، فقد وفتا تماما بأغراض تكوين الفكر والمجتمع فى العصور الوسطى؛ إذ تقاتل العلماء بأسلحة القياس المنطقى، كما أن القياس بتركيبه الثلاثى قد عكس ثلاثية أخرى فى العربية هى الرمح والدرع والسيف فى الحروب، ومن ثم فإن أصحاب الدرجات العلمية تقلدوا أسلحة نبيلة؛ شأن الفارس والسيد.

والثقافة بفعل التعليم الجامعى يجب أن تتحول إلى الأفضل؛ لأنها الأساس الأول للتغيير والتنوير والتحرير، فالحرية مساوية للاستقلال الذاتى، وهى لا تعنى الفوضى، وإنما تعنى أن الحرية واجب يستطيع الاثنان أن يقوما به، بل هو مطلب أخلاقى جازم، وهو ليس ملكة موروثة عند الإنسان علينا أن نوجدها (عصام عبد الله - ثقافتان فى منوية الجامعة المصرية، ٢٠٠٨، ص ٢٦-٦١).

ويلخص يسرى عفيفى[1] الأهداف البحثية للتعليم الجامعى فى الآتى:

١- إعداد الباحثين عن طريق برامج الدراسات العليا.

٢- مشاركة الهيئات المختصة فى القيام ببحوث مشتركة أو مستقلة لحل المشكلات التى تواجه المجتمع.

٣- الاستفادة من نتائج هذه البحوث وترجمتها إلى مقررات دراسية.

أما الأهداف المجتمعية للجامعة فتتمثل فى الآتى:

١- تنمية شخصية الطلاب تنمية متكاملة، وهكذا تقوم الجامعة بتوظيف البحث العلمى لبحث شئونها وتربية طلابها.

٢- تمد الجامعة المجتمع بالأخصائيين اللازمين لإعداد خطط التنمية لرسم سياساته، وحل مشكلاته.

٣- الإعداد لتخصصات مستقبلية تفرضها تطورات العلم والمعرفة واحتياجات العصر.

٤- خدمة التعليم وتقديم المشورة ونتائج الخبرة، وتطوير برامجها بما يتماشى وتحقيق هذا الهدف.

وهكذا تتجسد أهداف الجامعة فى الآتى:

١- تحديد فلسفتها ومناهجها بصورة واضحة.

٢- أن تتولى الجامعة الربط بين أهدافها وأهداف المجتمع الذى تعمل فيه ومؤسساته الكبرى.

٣- ترجمة الأهداف العامة للجامعة بالأهداف الخاصة بكل كلية على حدة.

وتعد الجامعة أساس النظام التعليمي؛ إذ تتولى إعداد الشباب مهنيا وعقليا وفكريا وروحيا واجتماعيا، فى شتى الميادين؛ إذ يحدد بعض الباحثين المهام التربوية التى تقوم بها الجامعة فى الآتى:

١- توطيد العلاقة بين الجامعة والمجتمع.

٢- تأهيل الشباب للقيام بالأدوار المنوطة بهم بالسبل التى تضمن تحقيق العائد الأكبر، فضلا عن غرس القيم السليمة بين الطلاب، حتى لا يعانوا من الهوة الثقافية بين الواقع المعيش بسلبياته وما تعلموه على أيدى الأساتذة والخبراء.

وهى لذلك تحرص على العملية التعليمية وتنشيط التفكير وصقل الملاحظة، مع الحرص على تنمية شخصية الطلاب فى مجال الأنشطة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية وغيرها (محمود عبد الحميد، القيم البيئية لدى شباب الجامعات، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات البيئية، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٦٠-٩٦).

وتشكل زيادة أعداد الطلاب، وانغلاق الجامعة بما يقتصر على تلقين الأسس الأكاديمية الصرف، وانعدام العلاقة بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب، ونقص الوسائل التعليمية، وضعف حماس الطلاب لتلقى العلم، واتساع الفروق الطبقية داخل مجتمعاتنا، وعدم ارتباط المقررات الدراسية بالواقع، والتغاضى عن الحوار المستمر بين أعضاء هيئات التدريس والطلاب،

وتدهور النسق الأخلاقى داخل أروقة الجامعة - أبرز التحديات التى تحول دون تحقيق الجامعة رسالتها، ويلزم العمل على مواجهة هذه التحديات؛ لكى تحقق الجامعة هذه الرسالة المجتمعية.

ثانيا- الإجراءات المنهجية للدراسة:

١- أجريت دراسة ميدانية لدراسة دور الجامعة فى تعزيز حوار الحضارات، تبنى فيها الباحث أسلوب الدراسة الوصفية، واستخدم صحيفة الاستبيان التى تضمنت مجموعة من الأسئلة عن دور الجامعة فى تحقيق التواصل بين الطلاب العرب. وتوجهت الدراسة إلى عينة من طلاب الجامعات المصرية[٢]، فى مرحلة الليسانس (٧٢٠ طالبا وطالبة)، ضمت جامعات عين شمس والقاهرة وحلوان (٨٨,٧٪ من مجموعهم)، فضلا عن ١١,٣٪ ينتمون إلى جامعات أخرى كالأزهر وبنها وغيرهما من الجامعات الإقليمية الأخرى، كما صمم دليل مقابلة، ضم مجموعة من الأسئلة المفتوحة، وجهت إلى شريحة من الطلاب العرب الذين يدرسون فى معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة؛ إذ تمت دراسة ٢٦٢ حالة لطلاب وطالبات يتلقون الدراسة فى أقسام المعهد المختلفة فى مرحلة الدبلوم.

٢- الأدوات المستخدمة فى الدراسة: صحيفة الاستبيان: ضمت الصحيفة بعض الأسئلة الشخصية، فضلا عن مجموعة من الأسئلة التى يغلب عليها نمط الأسئلة المغلقة (٧ أسئلة أولية)، أما بقية الأسئلة فتهتم بدراسة دور الجامعة فى دعم التواصل الحضارى. وقد لجأ الباحث إلى اختيار عينة عشوائية بسيطة فى مجال صحيفة الاستبيان، تضمنت ٤٧٪ من الذكور (ممن وافقوا على تطبيق الصحيفة عليهم، و٥٣٪ من الإناث)، وتضمنت العينة ٨١,٨٪ من الطلاب الذين يدرسون بالجامعة (فى الوقت الراهن)، فضلا عن ١٣,٦٪ تخرجوا منذ أقل من ٥ سنوات، ٤٪ تخرجوا منذ المدة بين ٥ و١٠ سنوات، و٦٪ تخرجوا

منذ ١٠ سنوات فأكثر.

أما عن مجالات التخصص (داخل الجامعة المصرية)؛ فإن ٢٠,٢٪ قد درسوا بكلية الحقوق، و١٦,١٪ درسوا بكلية التجارة، و١٥,٨٪ درسوا بكلية العلوم، فضلا عن ٤٧,٩٪ درسوا بكليات الحاسبات والصيدلة والطب والهندسة والتربية وغيرها من الكليات الجامعية، وهناك ٦١,٢٪ لم يحصلوا بعد على مؤهلهم الجامعى، و٣٦,٣٪ هم الآن فى مرحلتى (الليسانس والبكالوريوس)، فى حين حصل ٢,٥٪ - أو مازالوا يدرسون - للحصول على الدبلوم أو الماچستير والدكتوراه من الجامعات المصرية، وقد صنف ٤٢٪ من المبحوثين دراستهم بأنها دراسة "عملية"، وصنف ٥٨٪ دراستهم بأنها دراسة "نظرية".

وقد اتضح أن ٧٥,٤٪ من مجموع أفراد العينة قد ولدوا بالعاصمة المصرية، وحضر ١٦,٩٪ إلى المدينة منذ أقل من ٥ سنوات، و٦,٣٪ منذ المدة بين ٥ و١٠ سنوات، و١,٤٪ منذ ١٠ سنوات فأكثر. ويمكن القول إن هؤلاء الطلاب ينتمون أساسا إلى الحضر.

أما عن دليل[٣] المقابلة الذى طبق على ٢٦٢ حالة من طلاب الدورة العامة بمعهد البحوث والدراسات العربية الذى يتميز بأسئلته المفتوحة، فقد ضم ٩,٩٪ ممن تقل أعمارهم عن ٢٥ سنة، و٥٣,٤ ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٥ و٣٠ سنة، و٢٥,٦٪ ممن تتراوح أعمارهم بين ٣٠ و٣٥ سنة، و١١,١٪ تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة.

كما أن ٩٠,٨٪ من مجموع الحالات المدروسة هم من الذكور، و٩,٢٪ هن من الإناث.

والنسبة الكبيرة من الطلاب ينتمون إلى المجتمع الجزائرى بنسبة تصل إلى ٧١,٨٪، فى حين ينتمى ١٣,٤٪ إلى المجتمع العراقى، و٦,٥٪ ينتمون

إلى المجتمع المصرى، ويصل إجمالى نسبتهم إلى ٩١,٧٪، ثم من ينتمون إلى الجنسيات الأخرى؛ إذ ينتمى ١,٥٪ إلى فلسطين، و١,٤٪ إلى السودان واليمن والمغرب، وينتمى ٥,٤٪ إلى بلدان أخرى فى قارتى آسيا وأفريقيا.

وقد التحق بالمعهد ٥٧,٧٪ لدراسة القانون، و٢٨,٦٪ لدراسة الاقتصاد، و٥,٣٪ لدراسة الاجتماع، و٤,٢٪ لدراسة الأدب، و١,٩٪ لدراسة التربية، و١,٥٪ لدراسة التاريخ والجغرافيا، و٠,٠٨٪ للدراسة فى بقية الأقسام.

٣- وقد تمت الدراسة فى الفترة الممتدة من مارس إلى مايو ٢٠٠٨، وقام الطلاب أنفسهم بتعبئة الدليل تحت إشراف الباحث الرئيسى الذى صنف البيانات وحللها، ثم كتب التقرير النهائى للدراسة.

ثالثا- نتائج صحيفة الاستبيان:

١- أفصح ٦٧,٢٪ من مجموع أفراد العينة عن أن الدراسة الجامعية الأولى تعزز الرغبة فى الحوار مع الآخرين والتواصل معهم، وهى نسبة كبيرة توضح شعور الشباب بأن للجامعة دورها الاجتماعى، بوصفها مؤسسة اجتماعية وثقافية تعزز التواصل بين الشباب.

وذكر ٣٢,٨٪ أن الجامعة لا تؤدى هذا الدور، ومعنى هذا ببساطة أن جامعاتنا العربية، بوصفها مؤسسات تربوية تعزز التواصل بين الجنسين من جهة، وبين جمهور الطلاب والمؤسسات الاجتماعية والثقافية، سواء فى داخل المجتمع أو بين المجتمع وغيره من البلدان من جهة أخرى.

٢- أما مجالات هذا التواصل، فإنها تتجسد عادة فى تهيئة الشباب لسوق العمل (٢٥٪)، ويلى ذلك تهيئتهم لقبول التكنولوجيا الجديدة، لاسيما "الإنترنت" الذى يتيح المجال للانفتاح على العالم الخارجى، ثم إن الجامعة تتيح الفرص

السانحة لتواصل الشباب، بوصفهم أصدقاء ١١,٢ ثم الحوار من خلال اللقاءات الفكرية والثقافية؛ وهو مما يشجع الطلاب على الاحتكاك بالمناخ الفكرى والثقافى المحيط، ويستمعون إلى آراء النخبة المثقفة التى تحرص على حضور هذه اللقاءات، ويتوجهون بتساؤلاتهم إلى هذه النخبة، حتى يتسنى لهم فهم ما عسر عليهم فهمه من جهة، كما يتيسر لهم التكيف مع الواقع المحيط من جهة أخرى (١٠,٨٪). وقد ذكر ٣,٩٪ أن الجامعة تتيح التواصل الثقافى بين الشباب، وتتيح المناخ الفكرى والثقافى والأيديولوچى المنفتح، على نحو يتيح مناقشة قضايا كالهوية، والانتماء، والقومية العربية، والصراع العربى - الإسرائيلى، وغيرها من القضايا العامة.

٣- وحين تطرقت صحيفة الاستبيان عن إمكان وجود مقررات معينة درسها الطلاب، وتعزز التواصل بين الأنا والآخر - ذكر ٤٢,٧٪ أن هذه المقررات موجودة بالفعل. وغنى عن القول أن بعض مقررات أقسام الاجتماع وعلم النفس والفلسفة والتاريخ والعلوم الإنسانية والتربوية والبينية، يدعم هذا المنحى ويغذيه. وذكر ٥٧,٣٪ أنه لا وجود لهذه المقررات؛ ففى كليات الهندسة، والحاسبات والعلوم والطب والصيدلة، لا وجود لمثل هذه المقررات الإنسانية التى تضم أيضا مادة حقوق الإنسان، والمجتمع العربى، وغيرها تعزز التواصل بين الشخص والآخرين؛ إذ إنها تعنى بشبكة العلاقات الاجتماعية وتنظيمها، خاصة فى مجتمعنا العربى الذى شهد مهد الحضارة الإنسانية وظهور الأديان السماوية.

٤- وقد تطرقت الدراسة الوصفية لأبناء الجامعات المصرية التى استخدمت فيها صحيفة الاستبيان لظاهرة مهمة؛ هى سؤال الطلاب عن معرفتهم بأنشطة معينة تستوجب لقاءهم مع طلاب من جامعات أخرى، ففى جامعة عين شمس يعقد مهرجان "أيام الشعوب" الذى يجمع أبناء الدول العربية

وأبناء عدد من الدول الأخرى، أفريقية وآسيوية وغربية، حيث يقام معرض يعرض فيه أهم ما يميز القطر، ويقدم الطلاب الذين يشاركون فى أنشطة المهرجان على مدى عدة أيام أنشطة ثقافية خاصة بمجتمعاتهم، كما يقدمون فى الحفل الختامى أنشطة "فولكلورية" خاصة بمجتمعاتهم، ويتم تقييمها من خلال الكوادر التى ترشحها الجامعة لترتيب الفرق العارضة بحسب مستواها الفنى والثقافى، وتكريمها.

إن مثل هذه الأنشطة التى تجمع أبناء الجامعة مع أبناء الجامعات الأخرى تعد حقيقة فرصة مواتية للتبادل الفنى والثقافى والاجتماعى وتبادل الخبرات، وقد ذكر نحو ثلث أفراد العينة أنهم على علم بهذه الأنشطة، بل يشاركون فيها، سواء بتقديم الفقرات المختلفة، أو المشاركة بالحضور والتشجيع (٣٣,٩٪). وقد دلت البيانات على أن هذه الأنشطة هى أساسا أنشطة ثقافية واجتماعية ٤٦,٤٪، ورياضية ٣٨,٥٪، ثم فنية ٨,٢٪، وترفيهية ٦,١٪، وعلمية ٠,٨٪.

ومن الواضح أن الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية تستحوذ على النسبة الكبرى التى يلتف حولها طلاب الجامعات المختلفة، ومجموعها ٨٤,٩٪ من مجموع استجابات من ذكروا أن هناك أنشطة يهتم بها شباب الجامعات.

٥- أما عن الجامعات المصرية التى تهتم بإدراج هذا النوع من الأنشطة من بين الأنشطة التى تهتم بإبرازها فى خطتها، فقد احتلت جامعة القاهرة المركز الأول بنسبة ٤٦,٣٪، ثم عين شمس بنسبة ٢٣,٤٪، ويليها جامعة حلوان بنسبة تصل إلى ٢٣٪، وجامعة بنها (القريبة من القاهرة) بنسبة تصل إلى ٤,٩٪، ثم الجامعات الأخرى ٢,٤٪، ويعنى هذا أن انتماء هؤلاء الطلاب إلى هذه الجامعات الرئيسة له أثره البالغ فى إثارة وعيهم بما تفعله جامعاتهم فى هذا السياق، كما أن الجامعات الكبرى التى تتركز عادة فى العاصمة المصرية، أو فى المحافظات القريبة منها (كمحافظتى حلوان والقليوبية) تستقطب الطلاب

الأجانب الذين يفضلون عادة أن يستقروا فى أثناء وجودهم فى مصر فى إقليم القاهرة الكبرى، حتى يسهل عليهم المشاركة والتنقل بسهولة ويسر.

وحين سئل أفراد العينة عن رأيهم فى دور هذه اللقاءات فى تعزيز التواصل بين طلاب الجامعات المختلفة، ذكر ٢٣,١٪ من مجموع أفراد العينة أن هذه اللقاءات بين شباب الجامعات تعزز التواصل الاجتماعى بينهم، وذكر ٤١,١٪ أن هذه اللقاءات لا يشترط أن تعزز التواصل، فهى إن لم يخطط لها لا تؤدى دورها المرسوم لها، في حين ذكر ٣٥,٨٪ أنهم لا يعرفون حقيقة أن ذلك مجرد لقاء يدعم التواصل أو لا يدعمه.

٦- وقد أفصح تحليل صحف الاستبيان عن وقائع مهمة عن انطباعاتهم وتصوراتهم عن طلاب الجامعات الأخرى، فقد ذكرت نسبة تزيد عن الثلث أن جامعاتنا هى الأفضل بنسبة تصل إلى ٣٥٪، في حين ذكر ١٨٪ أن لدى طلاب (جامعاتهم) مميزات إيجابية كثيرة كذلك، وذكروا أن الطلاب الآخرين كانوا "ودودين معنا"؛ وهو ما يعنى "تقديرنا الحقيقى لهم"، فقد أدركوا أن الجامعات الأخرى تتسم بنواح إيجابية، أو "أن مشاعرنا نحوهم أصبحت الآن أكثر إيجابية"؛ لأنهم "ودودون معنا، ويقدروننا، ونحن نلتزم تجاههم بمبادلة هذا الود بمثله"، وذكر ١٥٪ ما نصه: "إننا اقتربنا فى محاولة فهم هؤلاء الطلاب، واستطعنا أن نطور أساليبنا فى التعامل معهم بناء على ذلك، ويؤدى هذا عادة إلى زيادة الألفة بين الشباب العربى، والاقتراب من فهم الآخر ومراعاته"، وقد ذكر ١٥٪ من أفراد العينة أنهم أحسوا بصدق أنه لا توجد فروق تذكر "بيننا وبينهم، وهذا قمة الشعور بالآخر؛ إذ يتلاشى الإحساس بالفروق بيننا وبينهم".

٧- وقد ذكر ٢٠,١٪ أنهم سافروا كذلك إلى الخارج بقصد الدراسة، ومعظم هؤلاء سافروا إلى الخارج مع أسرهم، ودرسوا الثانوية العامة بإحدى دول الخليج، ثم قدموا أوراقهم إلى مكتب تنسيق الجامعات فى مصر حتى

يلتحقوا بكليات حكومية مصرية مناسبة.

وتعبر الدراسة المسحية عن نوعية الدول السابقة الإشارة إليها؛ إذ استحوذت المملكة العربية السعودية على ٣٥,٢٪ من مجموع الطلاب الذين سافروا (مع أسرهم) للدراسة بالخارج، وذكر ٢٦,٢٪ انهم سافروا إلى دولة الإمارات العربية، في حين اتجه ١١٪ إلى الكويت، واتجه ٥,٥٪ إلى قطر، واتجه ٢٢,١٪ إلى دول أخرى عربية أو أفريقية أخرى حيث درسوا فيها حتى نهاية مرحلة الثانوية، ثم حضروا لاستكمال دراستهم فى مصر.

تعقيب:

من الواضح أن نسبة كبيرة من الشباب الجامعى من المصريين يرون أن الدراسة الجامعية تعزز لديهم الرغبة فى التواصل مع أقرانهم من الشباب الجامعى فى مختلف الأقطار، لاسيما فى البلدان العربية الشقيقة (٦٧,٢٪)، والتواصل بين الشباب الجامعى العربى هو الأمل المنشود.

كما تتضمن مجالات التواصل بحسب ما أفرزتها نتائج صحيفة الاستبيان العمل، والتواصل الإلكترونى عبر شبكة الإنترنت، والحوار عبر اللقاءات، والتواصل (بوصفهم أصدقاء)، والأنشطة الثقافية والاجتماعية. ويرى ٤٢,٧٪ من الطلاب أن هناك مقررات معينة تدعم التواصل بين شباب الجامعات، وهى المقررات الإنسانية العامة؛ كحقوق الإنسان، والمجتمع العربى، فضلا عن المقررات التى تنطوى تحت مظلة العلوم الإنسانية؛ كمقررات علم الاجتماع والأنثروبولوچيا وعلم النفس والفلسفة، وغيرها من المقررات العامة.

وهناك أنشطة تمهد للقاء الطلاب الذين ينتمون إلى جامعات مختلفة، وهى عادة الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية والفنية وغيرها، وتحتل الجامعات الكبرى مركز الصدارة فى دعم هذه الأنشطة التى تجمع الشباب

الذين ينتمون إلى جامعات مختلفة، كما أن اللقاءات تعزز التواصل؛ لما تتسم به من إرساء لأسس للفهم المتبادل، والشعور بالتقارب، وهكذا تنمو عواطف الزمالة والصداقة بين طلاب الجامعات المختلفة، عربية أو أفريقية أو آسيوية.

وقد سافر بعض الطلاب مع أسرهم للدراسة فى جامعات عربية أخرى للحصول على الثانوية العامة؛ وبناء على ذلك دخلوا الجامعات المصرية (بعد إجراء معادلة فى بعض المقررات المهمة كاللغة العربية والدين)، وهذه الدول عادة هى دول خليجية أعير لها أرباب الأسر، وفضلوا أن ينتقل معهم الأبناء للحصول على الشهادة الثانوية قبل عودتهم إلى مصر.

رابعا- نتائج المقابلات التى تمت مع الشباب المصريين والعرب ممن التحقوا بمعهد البحوث والدراسات العربية:

١- الجامعات ودعم الحوار بين الشباب:

تذكر الحالة الأولى[٤] ما نصه: "دراستى الجامعية الأولى عززت رغبتى فى التواصل مع الآخرين".

وتذكر الحالة رقم ١٤[٥] ما نصه: "الجامعات حقا وسيلة ربط بين طلبة من مختلف الثقافات، ويؤدى هذا إلى تعزيز الحوار بين الحضارات".

وتذكر الحالة ٣٤[٦] ما نصه: "الدراسة فى معهد أو كلية تعزز التواصل بين الطلاب".

وتذكر الحالة ٥٠[٧] ما نصه: "للجامعات العربية دور مهم فى التقريب بين الطلاب".

ونجد أن للجامعات العربية دورا مهما فى تقريب المسافات بين الأقطار

العربية من المحيط إلى الخليج، وبذلك يتعزز حوار الحضارات بشكل إيجابى، عن طريق التبادل العلمى والثقافى، ويتجلى ذلك فى تنقل الطلاب متخطين الحدود السياسية للدول... إلخ.

وتفصل الحالة ٢٢٥[٨] دور الجامعات بالقول: " للجامعات دور كبير فى التفاعل الحضارى، وحوار الحضارات، فهى منابر علم وثقافة وفكر، بل هى جسور للحوار والتواصل بين المثقفين المفكرين والإعلاميين وقطاعات المجتمع؛ وهو مما يؤدى إلى مزيد من التعاون فيما بينها فى مجال تعزيز الحوار وتبادل الثقافات، من خلال البعثات الدراسية والزيارات بين الجامعات الدولية والقطرية، خاصة فى ظل التطور الكبير فى تكنولوچيا الاتصالات".

ويشعر بعض الطلاب الجامعيين العرب بأنهم حين "يدرسون فى أى بلد عربى فكأنهم يدرسون فى بلدهم الذي عاشوا فيه".

وتذكر الحالة ١٧[٩] ما نصه: "فيه مقررات تعزز التواصل يعنى قانون الأحوال الشخصية قسم المواريث بيعمل كده".

وتذكر الحالة ٣٨[١٠] ما نصه: " أنا بأدرس التاريخ، وبأعرف أن التاريخ والجغرافيا والحاسوب بتدعم التواصل".

كما تذكر الحالة ١٤٢[١١] ما نصه: "كل مقررات علم الاجتماع بتدعو للتواصل والاحتكاك مع الآخرين".

وتذكر الحالة ٢٥[١٢] ما نصه: "أرى أن الأدب العربى يعزز فكرة التواصل بين طلاب الجامعات العربية".

ويعنى هذا ببساطة أن وجود مقررات عامة تدعم الحوار يزيد من فرص التواصل مع الطلاب العرب.

٢- والواقع أن التواصل الذى تخلقه الجامعات بين شبابها من ناحية، وبين الشباب العربى فى الجامعات الأخرى من ناحية أخرى، قد يصاحبه عادة إحساس الطالب العربى الذى ينتمى إلى قطر (آخر) بأنه فى بلده (الذى ولد فيه).

فالحالة الأولى تذكر كذلك ما نصه: " شعوى منذ استقريت بالقاهرة أشعر كأنى فى بلدى الثانى".

والحالة رقم ٥٠[١٣] تذكر ما نصه: "بعد مرور عده أيام على حضورى، شعرت كأنى فى بلدى الأصلى، لما لاقيناه من حسن المعاملة عند إخواننا المصريين، سواء كانوا طلبة أو أساتذة أو جيرانا أو تجارا".

والحالة ١٢[١٤] تذكر ما نصه: "فى الأول أحسست بالغربة، ولكن بعد الاستقرار والإختلاط مع الزملاء أصبحت أحس كأنى فى بلدى".

أى أن الإحساس يتجاوز التوافق الثقافى إلى التكيف النفسى والاجتماعى مع أهل القطر الذى هاجروا إليه.

والحالة ٢١[١٥] تذكر ما نصه: "شعورى منذ استقر بى المقام بالقاهرة كأنى فى بلدى".

والحالة ٢٨[١٦] تذكر ما نصه: "استفدت كثيرا من قدومى إلى مصر، وأحسست أنه لا توجد فروق تذكر، ووجدت المصريين ودودين جدا معنا".

والحالة ٤٦[١٧] تقول ما نصه: " أشعر كأنى فى بلدى".

وهو ما تؤكده كذلك الحالات: ٤٧، ٦٥، ٧٦، ٧٧، ٨٢، ١٢٢، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٦، ١٨٢، ١٩١، ١٩٢، ٢١٠، ٢٢٠.

ويعنى هذا أن الدراسة الجامعية (العليا) قد جذبت هؤلاء الطلاب، واقتنعوا - بمرور الوقت - أن القطر العربى الذى يدرسون فيه لا يكاد يختلف

عن القطر الذى قضوا فيه مرحلة الدراسة الجامعية الأولى.

بل إن الحالة ١٠٠[١٨] تذكر ما نصه: "أنا بأحس فى مصر بالاطمئنان والراحة".

وتسترسل الحالة ٦٢[١٩] قائلة: "هناك بعض الود هنا".

وما يهمنا هنا ليس الوجود فى قطر عربى معين، بل إحساس هؤلاء الشباب بالاطمئنان فى البلد الذى اتجهوا إليه كبلدهم، ويعنى ذلك أن هؤلاء الطلاب أصبحوا يشعرون بالطمأنينة والتكيف الاجتماعى والثقافى مع القطر الذى هاجروا إليه للدراسة، بل إن مبادرة أحد الأقطار لفتح باب الدراسات العليا للطلاب العرب قد شجعت الحالة ٣٧[٢٠] على أن تذكر ما نصه: "دى خطوة جيدة من مصر لمنح كل الطلبة العرب الفرصة لمواصلة دراساتهم العليا".

كما تذكر الحالة ٩[٢١] ما نصه: "شعورى أنى فى أماكن أحسن من بلادى وأماكن أخرى مثل بلادى، والحياة أعجبتنى فى مصر".

أما الحالة رقم ٧٧[٢٢] فإنها تقترح كذلك ما نصه: "يجب على كل الجامعات العربية تعزيز التواصل فيما بينها، وتحقيق التقارب لتوطيد العلاقات فيما بين الجامعات العربية وتقريب الثقافات... وتوعية هذه الشريحة المثقفة بظروف الوحدة والإحساس بالكيان (العربى) الواحد لهذا الوطن الواحد". ولعلها تقصد بهذا أن التقارب بين الشباب الجامعى العربى ينبغى أن يجب أى محاولات للتجزئة والإحساس - المبالغ فيه - بالخصوصية القطرية.

٣- يربط بعض الطلاب بين وظيفة الجامعة وتقدم الوطن العربى؛ إذ تذكر الحالة ١٤٨[٢٣] ما نصه: "الجامعة هى ملتقى الباحثين، وهذا هو الاحتكاك الإيجابى بين الحضارات، من خلال أفرادها؛ وهو مما يؤدى إلى التواصل والاتصال بين شتى المجتمعات"؛ بل إن الحالة ١٤٤[٢٤] تذكر ما

نصه: "إن الدراسات والأبحاث تسهم فى نهضة الأمة العربية".

وترى الحالة ١٣٩[٢٥] أن الجامعة "تعزز التواصل بين الشخص والآخرين، من خلال المنظمات الطلابية". وبعبارة أخرى: فإن للجامعة وظيفة تعليمية ضيقة، ولها كذلك وظيفة ثقافية متسعة؛ إذ يمكنها أن تعزز هذا التواصل، من خلال الأنشطة التى تقوم بها الجامعة المصاحبة للعملية التعليمية.

ومن هنا فإن الحالة ١١٣[٢٦] توصى الجامعة بأن تتبنى الأفكار المنفتحة التى تسمح بقبول الرأى والرأى الآخر؛ إذ إن هذا يسمح بتقبل أفكار الآخرين ومناهجهم، فالجامعة "هى الفضاء المتميز والمناسب لتبادل الأفكار، بعيدا عن التعصب، وهى تسمح بتقبل آراء الآخرين ومناهجهم على نحو يعزز وجود لغة حوار حضارية".

وترى الحالة ٩٩[٢٧] "أن للجامعة دورا هائلا فى تعزيز حوار الحضارات".

بل إن الحالة ١٠١[٢٨] ترى أن "الدراسة الجامعية العليا قد أسهمت فى زيادة وعى الشخص بفهم أساليب التعامل مع الآخرين". وهو ما تؤكده الحالة ٥٦[٢٩] والحالة ٥٤[٣٠]؛ إذ تريان أن الدراسات العليا بالجامعة تمثل "انفتاحا على العالم الخارجي"، فالجامعة هنا تثير الوعى، وتدعم التواصل بين الشباب العربى الذى ينتمى إلى أقطار عدة، وفى الوقت الذى يرى فيه البعض أن الجامعة هى "بوتقة لتلاقى الأفكار"، يرى بعض آخر أن الجامعة عليها أن تسعى لتماسك الوطن العربى، حتى لا تغلب عليه النزاعات القطرية الضيقة.

٤- تبرز فى الواقع رسالة معهد البحوث والدراسات العربية بوصفه نموذجا لمؤسسة تعليمية لطلاب من أقطار عربية مختلفة فى تعزيز التواصل بين فئات عمرية ونوعية مختلفة، وتشجيع الطلاب من شتى البلدان العربية على

الالتحاق بالدراسات العليا؛ إذ تصبح هذه المهمة بالغة الأهمية فى ظل وجود الاحتلال الذى تعانى منه العراق وفلسطين وغيرها من الأقطار؛ إذ تتشارك الحالة الثانية، والحالات ٢٤، ٣٦، ٤٣، ٦٤، ٧٨، ١٥٠ فى القول إن العراق (على سبيل المثال) لا توجد فيه فى الوقت الحاضر فرص الدراسة العليا لوجود الاحتلال الأمريكى وانتشار الفوضى فى شتى المناطق، وتكمن أهمية معهد البحوث والدراسات العربية، وغيره من المعاهد المماثلة - حسب ما تفصح عنه الحالة ٨٩[٣١] - فى أن "المعهد يقدم فرصة هائلة لالتقاء الشباب العربى الراغب فى الدراسات العليا الذى ينتمى طلابه إلى ثقافات وأنظمة وأقطار عربية مختلفة".

وتعبر عن فلسفة معهد البحوث والدراسات العربية الذى يتبع جامعة الدول العربية الحالة ١٩٦[٣٢] حين تقول: "يتميز المعهد بقدرته على جمع أكبر عدد ممكن من الطلبة والباحثين من مختلف الجنسيات العربية والإسلامية وغيرها، والأروع من ذلك شعور هؤلاء جميعا بالتجانس والوحدة، كما تعبر الحالة رقم ٢٠٤ عن هذا حين تذكر: "المعهد يعزز التقارب والتواصل بين الثقافة القطرية والثقافات الأخرى"، وهذا عينه قد ورد على لسان الحالات: ٣، ٦، ١٩، ٢٠٠، ٢١٧، ٢٢٩، ٢٥٤.

وتؤكد هذا المعنى الحالة ١٨٦[٣٣] التى ترى أنه لا بد من تشجيع المعاهد التى ترعاها جامعة الدول العربية بوصفها معاهد تضم العرب جميعا، وهو ما تؤكده الحالة ١٨٧[٣٤]، وتؤكد هذه الحقيقة كذلك الحالات: ٨٣، ٨٥، ٩٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٨، ١٨٩.

تعقيب:

أوضحت الحالات المدروسة دور الدراسة الجامعية فى غرس الوعى، فقد عمقت هذه الدراسة الرغبة فى التواصل بين الشباب، سواء بين طلاب

الجامعة الواحدة أو بين طلاب الجامعات الأخرى.

وقد برزت كذلك قيمة المقررات الإنسانية فى دعم التواصل، وهى مقررات عامة تصقل بصيرة الإنسان، فيمتد بنظره إلى غيره، بل إن السفر للدراسة برفقة الأسرة للحصول على الشهادة الثانوية والالتحاق بالجامعة بعد ذلك يدعم التواصل بين الطالب والجامعة التى يلتحق بها، ويزيد من دعم الشعور بالرغبة فى التواصل مع غيره من أبناء الأقطار العربية الأخرى.

وقد أوضح الطلاب أهمية مرحلة الدراسات العليا فى استيعاب الشباب الجامعى والشابات من الجنسين، والسماح بوجود فئات عمرية مختلفة.

كما أوضح الطلاب أن الكليات والمعاهد التى تجمع شبابا ينتمون إلى أقطار عربية، وذلك لبلدان أفريقية وآسيوية تتيح فرصة طيبة للالتقاء والتواصل؛ وهو مما يعزز فرصة الحوار بين شباب هذه الأقطار المختلفة، ويؤدى إلى توسيع مداركهم.

وتعبر الحالة ٤١[٣٥] عن هذا الشعور بالقول: "إن المعاهد التى تجمع الطلاب من أقطار مختلفة تتيح الفرصة لتعرف طلاب من جميع البلدان العربية".

وهو ما تؤكده الحالة ٤٤[٣٦]؛ أى أن المعاهد التى تجمع الشباب الجامعى العربى تدعم الوحدة العربية التى ننشدها جميعا.

ونحن نلحظ هنا الربط بين المعاهد التى تجمع شباب الأقطار العربية المختلفة ودور هذه المعاهد فى تحقيق الوحدة العربية المأمولة.

وهكذا تتدعم رسالة الجامعات فى تعزيز حوار الحضارات بصفة عامة، وحوار الحضارات العربية بصفة خاصة.

التوصيات:

١- العمل على تطوير المناهج والمقررات الدراسية بصورة مستمرة، لتتناسب والعصر الحالى.

٢- ربط الجامعات بقضايا المجتمع؛ إذ إن إثارة قضايا هيمنة الغرب على مجتمعاتنا العربية وحقوق الإنسان العربى فى الوقت الحاضر ينبغى أن تثار فى جامعاتنا العربية.

٣- توجيه الطلاب نحو كيفية التعامل مع التكنولوجيا الحديثة؛ كأجهزة الحاسوب، والإنترنت، والقنوات الفضائية، والمحمول، وغرف الدردشة، حتى لا يضل شبابنا السبيل فى التعامل مع هذه الأدوات.

٤- من المهم تشجيع انخراط الشباب فى الأنشطة الاجتماعية والثقافية والسياسية، وغيرها لإشباع حاجاتهم المختلفة.

٥- دعم العلاقة بين الجامعة والمجتمع ومؤسساته المختلفة، وتشجيع الجامعات الإقليمية لكى تتعامل بفاعلية مع المجتمعات المحلية التى توجد فيها وتتولى حل مشاكلها المحلية.

٦- تشجيع قيام مراكز داخل الجامعة (كمراكز الخدمة العامة) التى تقيم دورات لتعليم الموسيقى، والكمبيوتر، واللغة، والإتيكيت، وإصلاح السيارات، وإصلاح الأجهزة الإلكترونية، وتعليم العربية لغير الناطقين بها، وتأهيل أصحاب الحاجات الخاصة وغيرها.

٧- دعوة رجال الأعمال ورؤساء المدن الجديدة والمجتمعات العمرانية الجديدة للحوار مع الخبراء داخل الجامعة لحل المشاكل التى تواجههم.

٨- تشجيع الطلاب على إقامة الندوات والسيمينارات التى يشارك فيها أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ورجال الدين والنخب المثقفة فى المجتمع.

الهوامش:

(١) يسرى عفيفى، أهداف التعليم الجامعى فى مصر، جامعة عين شمس، الأسس التربوية لإعداد المدرس الجامعى، ٢٠٠٤).

(٢) قام بتطبيق صحيفة الاستبيان مجموعة مختارة من طلاب ليسانس الاجتماع، بكلية الآداب، جامعة عين شمس، وعددهم ٣٥ من طلاب الفرقة الرابعة، فى يناير ٢٠٠٨، تحت إشراف أ.د ثروت إسحق.

(٣) تم تطبيق الدليل فى معهد الدراسات العربية.

(٤) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٥) أنثى، جزائرية تدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٦) ذكر، عراقى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٧) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٨) ذكر، عراقى، يدرس التربية بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٩) ذكر، عراقى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٠) ذكر، عمانى، يدرس التربية بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١١) ذكر، جزائرى، يدرس علم الاجتماع بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٢) ذكر، نيچيرى، يدرس الأدب بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٣) ذكر، عراقى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٤) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٥) ذكر، جزائرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٦) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٧) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٨) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(١٩) ذكر، عراقى، يدرس التربية بمعهد البحوث والدراسات العربية.

(٢٠) ذكر، جزائرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢١) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٢) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٣) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٤) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٥) ذكر، جزائرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٦) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٧) ذكر، أندونيسى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٨) ذكر، جزائرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٢٩) ذكر، مصرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٠) ذكر، جزائرى، يدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣١) ذكر، جزائرى، يدرس القانون، بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٢) ذكر، جزائرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٣) ذكر، مصرى، يدرس القانون بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٤) ذكر، مصرى، يدرس الاجتماع بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٥) أنثى، عراقية، تدرس الاقتصاد بمعهد البحوث والدراسات العربية.
(٣٦) أنثى، فلسطينية، تدرس التربية بمعهد البحوث والدراسات العربية.

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

المراجع:

١ ـ عصام عبد الله، ثقافتان فى منوية الجامعة المصرية فى جامعة القاهرة، الثقافة والجامعة المصرية، القاهرة ٢٠٠٨.

٢ ـ يسرى عفيفى، أهداف التعليم الجامعى فى مصر، جامعة عين شمس، الأسس التربوية لإعداد المدرس الجامعى، القاهرة ٢٠٠٤.

٣ ـ محمود عبد الحميد محمد، القيم البينية لدى شباب الجامعات، رسالة ماچستير غير منشورة، معهد الدراسات البينية، جامعة عين شمس، ١٩٩٢.

٤ ـ معهد البحوث والدراسات العربية، أعمال ندوه عطاء الماضى وآفاق المستقبل، القاهرة (١٤ـ١٥ ديسمبر ٢٠٠٢).

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية